شـــرح كتاب

كشف الشبـهات

تَصْنِيف الإِمَام المُجَدِّدُ

مُحَمَّد بِن عَبْدِ الوَهَّاب بِن سُلَيْمَان التَّمِيمِي

رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١١١٥هـ - ١٢٠٦هـ)

شَرْحُ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ

أ.د: سليمان بن سليم اللّه الرحيلي

غَفَرَ اللّٰهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلس (١٧)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَىٰ، الحَمْدُ للهِ عِنْدَ الرِّضَا، والحَمْدُ للهِ بَعْدَ الرِّضَا، والحَمْدُ للهِ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ حَالِ أَهْلِ النَّارِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ الوَاحِدُ القَهَّارُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ العَبْدُ المُصْطَفَىٰ المُخْتَارُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَقْبَلَ لَيْلٌ أَوْ أَضَاءَ نَهَارٌ، وَرَضِيَ اللهُ عَنْ آلِهِ الأَطْهَارِ وَصَحَابَتِهِ الأَبْرَارِ.

أَمَّا بَعْدُ:

معاشر الفضلاء؛ أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يجعل مجلسنا هذَا من خير أعمالنا في يومنا هذَا، وأن يتقبله منا، وأن يدخره لنا، وأن يجعله سببًا لرضاه عنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

معاشر الفضلاء؛ إن العلم يعظم إذا تعلق بحق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، إذا تعلق بالتوحيد، وإن المؤمن ليحلو لَهُ أن يسمع الكلام عَنْ حق ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ونحن في درسنا هذَا نشرح كتاب: (**كشف الشبهات**) لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، ولا زلنا في سياق الرد على شبهة كبيرة، يُرددها الفاعلون للشِّرْكِ والقائلون للشرك ممن ينتسبون إلى الإسلام قديمًا.

ولا زال القائلونَ الشرك والفاعلونَ الشرك الَّذِينَ يُجاهرون، ويزعمون أَنْهُم أنه يصلهم برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنه يُقربهم إلى الله، بل يصيرون به أولياء لله، ويسبقون به غيرهم إلى الجنة، لا زال أولئك يُرددون هَذِه الشبهة، وقد عظم شأن الشبه المتعلقة بالشرك في زماننا هذَا؛ حيث انفجرت وسائل التواصل الاجتماعي، وصار كل من يُريد أن يتكلم تكلم وألقى الطوام والبلاء في آذان الناس.

هَذِه الشبهة مفادها: أنكم يا أهل التوحيد، يا من تدعون إِلَىٰ التوحيد على وجه التفصيل، ويا من تنهون عَنْ الشرك وتُبينونه على وجه التفصيل، إنكم تُكفرون المسلمين، وتنشرون التكفير بين

المسلمين، والمسلم إذا أتى بالشهادتين لا يكفر مهما قال أَوْ فعل، ولا يُكفر مهما قال أَوْ فعل، إلَّا إذا كذب الله وكذب رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكذب القرآن وكذب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكذب بالبعث.

فهذه الشبهة لها أصل وفرع:

☚ **أما أصلها:** فزعمهم أن من نطق بالشهادتين يبقى إسلامه لازمًا دائمًا، لا يُكفر مهما قَالَ، ومهما فعل، فقوله: (**أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ**) يكفيه، ولو فعل مَا فعل، ولو قال مَا قَالَ.

☚ **وأما فرعها:** فهو أنكم يا أهل التوحيد تُكفرون المسلمين، وتحكمون على المسلمين بالكفر، وبهذا تنشرون التكفير بين المسلمين.

❁ **وَهذِه الشبهة يُريد بها أصحابها أمرين:**

اَلْأَوَّلُ: ثنينا عَنْ الدعوة إِلَىٰ التوحيد، والتحذير من الشرك حَتَّىٰ يبقى العوام أسرى لهم يُعظمونهم، ويُجلونهم، ويرفعونهم رفعًا عظيمًا، ويخدمونهم، ويُعطونهم مَا يملكون.

والأمر الثَّانِي: التشنيع عَلَىٰ التوحيد، وعَلَىٰ دعوة التوحيد، حَتَّىٰ لا يُقبل العوام على التوحيد، وَحَتَّىٰ لا ينبذ العوام الشِّرْك.

ونحن عندما نرد هَذِه الشبهة وأمثالها، ونكسر هَذِه الشبه كسرًا بالحجة والبرهان، إنَّمَا نُريد أمورا ثلاثة:

الأمر الأول: تثبيت أهل التوحيد عَلَىٰ التوحيد، وعلى الدعوة إلى التوحيد، هَذِه الدعوة الَّتِي هِيَ أعظم دعوة وأشرف دعوة، وفيها أعظم إحسان لبني الإنسان.

والأمر الثاني: أن نكشف الشبه، ونُزيل مَا يُغطي عيون العوام مِمَّا يُلقيه أهل الباطل عَلَىٰ مسامعهم رحمة بهم، وإحسانا إليهم، ودعوة لهم إلى الجَنَّة، وخوفًا عليهم من النَّار.

والأمر الثالث: أن نُقيم الحجة على أهل الباطل، وندمغهم دمغًا بقول الله وقول رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإجماع سلف الأُمَّة.

وقد تقدم الكلام عَنْ هَذِه الشبهة في المجالس، وبيَّنَّا أوجهًا من الجواب عَنْ هَذِه الشبهة، **فقد تقرر تقررًا بينًّا لا لبس فيه**: أن الصحابة مجمعون عَلَىٰ أن من أتى بالشهادتين، ثُمَّ تلبس بمكفر من المكفرات

أنه يكفر بذلك، ويخرج عَنْ دين الإسلام، وفق الضوابط المعروفة عند أهل العلم، وأن الفقهاء والعلماء مجمعون عَلَىٰ أن من أتى بالشهادتين، ثُمَّ أتى بمكفر يرتد عَنْ الإسلام، ويصبح كافرًا وفق الشروط الَّتِي سنشير إليها إِنْ شَاءَ اللهُ في ختام الكلام عَنْ هَذِه الشبهة.

وكان آخر مقطع قرأناه يتعلق بتقرير إجماع الفقه على أن المسلم قد يرتد عَنْ دينه إذا أتى بشيء من المكفرات النواقض للإسلام، وقد قرأنا هذَا المقطع عَلَىٰ عجل، فأطلب من الابن نور الدين وَفَّقَهُ اللهُ والسامعين أن يُعيد علينا قراءة هذَا المقطع.

(المتن)

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، أَمَّا بَعْدُ؛ فاللهم اغفر لنا ولشيخنا والسامعين.

قال الإمامُ المُجدد مُحَمَّدُ بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في رسالتهِ "كشف الشُّبُهَات": وَيُقَالُ أَيْضًا: إِذَا كَانَ الأَوَّلُونَ لَمْ يَكْفُرُوا إِلَّا أَنَّهُمْ جَمَعُوا بَيْنَ الشِّرْكِ، وَتَكْذِيبِ الرَّسُولِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالقُرْآنِ، وَإِنْكَارِ البَعْثِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

فَمَا مَعْنَىٰ البَابِ الَّذِي ذَكَرَ العُلَمَاءُ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ: (بَابُ حُكْمِ المُرْتَدِّ) -وَهُوَ المُسْلِمُ الَّذِي يَكْفُرُ بَعْدَ إِسْلَامِهِ-؟ ثُمَّ ذَكَرُوا أَنْوَاعًا كَثِيرَةً، كُلُّ نَوْعٍ مِنْهَا يُكَفِّرُ، وَيُحِلُّ دَمَ الرَّجُلِ وَمَالَهُ، حَتَّىٰ إِنَّهُمْ ذَكَرُوا أَشْيَاءَ يَسِيرَةً -عِنْدَ مَنْ فَعَلَهَا-؛ مِثْلَ كَلِمَةٍ يَذْكُرُهَا بِلِسَانِهِ دُونَ قَلْبِهِ، أَوْ كَلِمَةٍ يَذْكُرُهَا عَلَىٰ وَجْهِ المَزْحِ وَاللَّعِبِ.

(الشرح)

هذَا أيضًا من باب تقرير إجماع الفقهاء على أن من أتى بالشهادتين إذا أتى بناقض أَوْ مكفر فإنه يرتد عَنْ الدين، فيقول الشيخ: (**إِذَا كَانَ الأَوَّلُونَ**)؛ أي الَّذِينَ كانوا في زمن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ودعاهم النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ التوحيد، وأبغضهم لشركهم وقاتلهم على هذَا الشرك، وتوعدهم بالخلود في النَّار، (**لَمْ يَكْفُرُوا إِلَّا أَنَّهُمْ جَمَعُوا بَيْنَ الشِّرْكِ**)؛ فأتوا بالأقوال والأفعال الشركية.

(**وَتَكْذِيبِ الرَّسُولِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**)؛ فجمعوا بين الشرك وتكذيب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (**وَالقُرْآنِ**)؛ أي وتكذيب القرآن، وهذا تكذيب لله عَزَّ وَجَلَّ، (**وَإِنْكَارِ البَعْثِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ**)؛

ومعنى ذلك: أنه لا يكفر بزعمكم إلَّا من كان على هذَا الحال، أما من فعل الشرك مع تصديق رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والتصديق بالقرآن، والإيمان بالبعث فإنه لا يكفر بزعمكم.

فما معنى الباب الَّذِي اتفق عليه الفقهاء، ويذكرونه في كتب الفقه، وَهُوَ باب حكم المرتد؟ وفي هذَا معاشر الفضلاء إجماع الفقهاء على أن المسلم مع نطقه بالشهادتين قد يرتد، ويُحكم بكفره إذا أتى بناقض من النواقض؛ من قول يُناقض الدين، أَوْ فعل يُناقض الدين، أَوْ اعتقاد يُناقض الدين، أَوْ شك يُناقض الدين، فإن الفقهاء متفقون على عقد هذَا الباب: (**باب حكم المرتد أَوْ أحكام المرتدين**).

والمرتد كما هو معلوم: مسلم أتى بالشهادتين، وقد يعيش زمنًا طويلًا من عمره عَلَىٰ الإسلام، ثُمَّ يأتي بناقض واحد فيُحكم بكفره، ولا يشترط مع القول أَوْ الفعل استحلال القلب عند الفقهاء، بل الكفر يا إخوة يُقابل الإيمان، فكما أن الإيمان قولٌ واعتقادٌ وعملٌ مع يقين، فإن الشرك كَذَلِكَ يكون بالقول وحده، وبالفعل وحده، وبالاعتقاد وحده، وبالشك المنافي لليقين.

وقد ذكر الفقهاء أنواعًا من المكفرات، حتى أوصلها بعض الفقهاء إِلَىٰ مَا يزيد على أربعمائة مكفر، ولو جمعنا مَا يذكره هذَا، ويذكره هذَا، ويذكره هذَا لوجدنا آلاف المكفرات الَّتِي يذكرها الفقهاء، وقد نصوا: عَلَىٰ أن من أتى بواحد منها فإنه يكفر ويُستتاب، فإن تاب وَإِلَّا قُتل كفرًا، فلم يشترطوا اجتماعها، ولا كثرتها، وَإِنَّمَا إذا أتى المسلم بناقض واحد منها، بمكفر واحد منها، فإن يكفر بذلك.

وقد ذكر بعض الفقهاء كما أشار الشيخ: منها أشياء يسيرة عند قائلها أَوْ فاعلها، كقول مثلًا: (**مُسَيْجِد، ومصيحف**) بالتصغير، فإن فقهاء الأحناف نصوا عَلَىٰ: أن من قال مسيجد أَوْ مصيحف لا يقصد الصورة، ولا يقصد التعظيم؛ لأن التصغير أحيانًا يكون خبرًا عَنْ الصورة، خبرًا عَنْ صورة الشيء، فيقول مسيجد: أي أن صورته صورة صغيرة، مصيحف لو وجد مصحفًا صغيرًا جدًّا وقد كتب نقشًا، فيقول: مصيحف إخبارًا عَنْ السورة، هذَا مَا يدخل هنا، أَوْ للتعظيم؛ فإن التصغير من مقاصده في لغة العرب التعظيم، فإذا أراد التعظيم لا يدخل هنا.

أما إذا لم يرد الأخبار عَنْ الصورة ولا التعظيم فإنه يكفر؛ لأَنَّهُ يُحمل عَلَىٰ التحقير، حتى لو لم يرد هو ذلك يُحمل على التحقير، أما إذا قصد التحقير والإهانة فإنه يكفر بلا شك، فانظروا يا إخوة كلمة: (**مسيجد**) تصغير مسجد أمر يسير جدًّا إذا سمعته، ومع ذلك ينص الأحناف على أنه إذا صغر المسجد

أَوْ المصحف لا يقصد إخبارًا عَنْ صورة ولا تعظيمًا أنه يكفر بهذا، وأن هذَا يُحمل على التحقير والإهانة حَتَّىٰ لو لم يرد ذلك.

مع أن هذَا يعني فيه نظر، وإذا لم يرد التحقير والإهانة فإنه لا يُقال: أنه يكفر بهذا، لكن المقصود التنبيه على أن الفقهاء يذكرون أشياء يسيرة عند قائلها أَوْ فاعلها في باب المكفرات.

وقد قَالَ الشيخ: (مِثْلَ كَلِمَةٍ يَذْكُرُهَا بِلِسَانِهِ دُونَ قَلْبِهِ)؛ لا يقصد الشيخ مثل كلمة تجري على اللسان من غير قصد لها، وَإِنَّمَا يقصد الشيخ أن يقول كلمة الكفر ولو لم يستحلها بقلبه، فتجري كلمة الكفر عَلَىٰ لسانه وَهُوَ يعلمها، ليس ذاهلًا غافلًا مثل ذاك الَّذِي قَالَ: (اللّٰهم أنت عبدي وأنا ربك)، وَإِنَّمَا هو عالم يقصد الكلمة، فإنه يكفر ولو لم يستحل قولها.

(أَوْ كَلِمَةٍ يَذْكُرُهَا عَلَىٰ وَجْهِ المَزْحِ وَاللَّعِبِ)؛ يعني نص على هذَا الفقهاء، مثلًا قال الحنفية: **"من هزل بلفظ شرعي كفر وارتد، وإن لم يعتقده للاستخفاف"** هكذا ينصون في كتبهم، بعض الناس مثلًا يهزل بالحور العين، أَوْ بِالجَنَّةِ هزلًا واستهزاءً، فهذا عندهم يكفر وإن لم يعتقد ذلك بقلبه.

وكقول الحنفية أيضًا: **"من قال في رجل كبير: هذَا قد نسيه الله يكفر"**، بعض الناس يقولون هذَا من باب المزاح، من باب السخرية، إذا رأوا رجلًا كبيرًا جدًّا طاعنًا في السن يقولون: هذَا متى يموت؟ هذَا قد نسيه الله -أعوذ بالله-، مَا يقولها معتقدًا، لكن يقولها سخرية ولعبًا قالوا: يكفر بهذا.

وقولهم أيضًا: **"من لف ساقه على ساقه، وَقَالَ: والتفت الساق بالساق يكفر؛ لما في هذَا من الاستخفاف"**، انظروا إِلَىٰ أي درجة وصل الأَمْر عند الفقهاء.

✍ **فالشاهد:** أن الفقهاء مجمعون على بطلان هَذِه الشبهة الَّتِي يُرددها أقوام قديمًا وحديثًا، وبهذا تبين لنا إجماع الصحابة، وإجماع العلماء، وإجماع الفقهاء، بل وإجماع العامة على هذَا الأَمْر، بل إن هؤلاء الَّذِينَ يقولون هَذِه الشبهة لا يلتزمونها، فمن خالفهم يُكفرونه.

الأشاعرة ينصون نصًا على أن من قَالَ إن الله في السماء لا يقولها لظواهر النصوص، وَإِنَّمَا يقولها معتقدًا أنه يكفر، -أعوذ بالله- الَّذِي يقول مَا قال الله وقاله رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكفر، هؤلاء الَّذِينَ يفعلون الشركيات يُكفرون الموحدين، أَلَا تسمعونهم يُكفرون من يسمونهم الوهابية، ويلعنونهم لعنًا قبيحًا، ويقولون إنهم أشر من على وجه الأَرْض؟ طيب أليسوا هؤلاء يشهدون أن لَا

إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، ويُصلون، ويُقيمون المساجد، لو كان قولكم هذَا صحيحًا عندكم أنتم لما كفرتموه، لكن هذَا القول يعلم كل عاقل بطلانه.

ولا زال الشيخ يسوق الأدلة والأوجه على كسر هَذِه المظلة، وذلك لعظيم رَوَجَانِهَا وشدة وخطر تأثيرها.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَيُقَالُ أَيْضًا: الَّذِينَ قَالَ اللهُ فِيهِمْ: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ [التوبة: ٧٤]؛ أَمَا سَمِعْتَ اللهَ كَفَّرَهُمْ بِكَلِمَةٍ -مَعَ كَوْنِهِمْ فِي زَمَنِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيُجَاهِدُونَ مَعَهُ، وَيُصَلُّونَ مَعَهُ، وَيُزَكُّونَ، وَيَحُجُّونَ، وَيُوَحِّدُونَ-؟

(الشرح)

قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝٧٣ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣-٧٤]، فهذه الآية كما هو ظاهر جدًّا في المنافقين الَّذِينَ كانوا في زمن النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وانتبهوا يا إخوة: المنافقون كفار في الباطن، مسلمون في الظاهر، محكوم ظاهرًا بإسلامهم، إذًا في الظاهر عندنا هم مسلمون، والباطن والله يعلمه هم كفار، هم في الظاهر يشهدون أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، ويُصلون، ويصومون، بل قد يُجاهدون، وقد كانوا يُجاهدون مع رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فهؤلاء المنافقون الَّذِينَ كانوا في زمن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويقولون في الظاهر: نَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، ويُصلون مع رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويُزكون، ويحجون، ويُجاهدون معه، فكانوا مسلمين بحكم الظاهر، قالوا كلمة الكفر، فسبوا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ووقعوا في النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي المسلمين، وسبوا الإسلام، وشكوا في وعد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فكفروا ظاهرًا بهذه الكلمة، فخرج كفرهم الباطن إِلَىٰ الظاهر، فكَفَّرهم الله عَزَّ وَجَلَّ ظاهرًا، وحكم بكفرهم ظاهرًا لما؟ مَا سبب ذلك؟ مَا علة ذلك بنص الآية؟ أَنَّهُم قالوا كلمة الكفر.

إذًا علة كفرهم ظاهرًا أَنَّهُم قالوا كلمة الكفر، يا إخوة قبل أن يقولوا هَذِه الكلمة الَّتِي هِيَ وقيعة في رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسبٌّ للإسلام، وشكٌّ في وعد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كان يُحكم بإسلامهم ظاهرًا، إِلَىٰ أن قالوا هَذِه الكلمة، فلما قالوا هَذِه الكلمة حُكم بكفرهم ظاهرًا، فدل ذلك عَلَىٰ: أن علة كفرهم الظاهر هِيَ أَنَّهُم قالوا كلمة الكفر، فدل ذلك عَلَىٰ: أن قول المسلم كلمة الكفر يكفر به، كمن سب الله وَهُوَ يعلم مَا يقول، أَوْ سب رسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يعلم مَا يقول، أَوْ سب القرآن وَهُوَ يعلم مَا يقول، فإنه يكفر بذلك بالإجماع.

فدلت هَذِه الآية على بطلان قولهم: (إن من أتىٰ بالشهادتين لا يكفر بعد ذلك مهما قَالَ، ومهما فعل).

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَكَذَلِكَ الَّذِينَ قَالَ اللهُ فِيهِمْ: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦]؛ فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ صَرَّحَ اللهُ فِي كِتَابِهِ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ -وَهُمْ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ- قَالُوا كَلِمَةً ذَكَرُوا أَنَّهُمْ قَالُوهَا عَلَىٰ وَجْهِ المَزْحِ وَاللَّعِبِ.

(الشرح)

هؤلاء الَّذِينَ ذكرهم الشيخ، وَالَّذِينَ ذُكروا في الآية قَالَ بعض أهل العِلم: هم قوم مذبذبون عندهم شيء من الإيمان وعندهم شيء من النفاق، فليس نفاقهم خالصًا، وليس إيمانهم خالصًا، بل كان عندهم شيء من الإيمان، فاستهزأوا برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على سبيل اللعب والمزاح، فخلص وظهر كفرهم.

وعند المحققين من العلماء: هم جماعة من المنافقين، ليس عندهم شيء من الإيمان وشيء من النِّفَاق، بل في باطنهم النِّفَاق؛ بدليل سياق الآية، وكون الآية أيضًا في سورة التوبة الَّتِي فضحت المنافقين.

وقد جاءت قصتهم هَذِه عَنْ ابن عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قَالَ: **(قَالَ رجلٌ فِي غزوةِ تَبوكَ في مجلسٍ يومًا: ما رأيتُ مِثلَ قُرَّائِنا هؤلاء)**؛ من القراء؟ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكبار الصحابة، **(لَا أرغَبَ بُطونًا)**؛ أي أنهم يُحبون الأكل كثيرًا، **(ولا أكذَبَ ألسِنةً)**؛ وَهذَا ظاهر، **(ولا أجبَنَ عند اللِّقاءِ!**

فقال رجلٌ في المجلِسِ: كذَبْتَ، ولكنَّك مُنافِقٌ، لأُخبِرنَّ رسولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فبلغ ذلك النبيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأُنْزِل القرآنُ).

قَالَ ابن عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (فأنا رأيتُه)؛ أي ذلك الرجل، (مُتعلِّقًا بِحَقَبِ ناقةِ رَسولِ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، بحقب، وفي بعض الروايات بنسع، وهو الحزام الَّذِي يُشد به الرحل عَلَىٰ الناقة، ويكون من تحب بطن الناقة، (تَنكُبُه الحِجارةُ، وهو يقولُ: يا رسولَ اللهِ، إنَّما كنَّا نخوضُ ونَلعَبُ، وَرَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [التوبة: ٦٥]).

روى هَذِه القصة الطبري في التفسير، وابن أبي حاتم، وقال الشيخ مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً في (الصحيح المسند من أسباب النزول): "الحديث رجاله رجال الصحيح إلَّا هشام بن سعد، فلم يُخرج لَهُ مسلم إلَّا في الشواهد، وله شاهد بسند حسن عند ابن أبي حاتم"، إذًا هَذِه القصة ثابتة، وهذه الرواية ثابتة.

فهؤلاء قَالَ الله فيهم: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٤-٦٦].

فالله عَزَّ وَجَلَّ يقول لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لأن سألت هؤلاء عَنْ قولهم عنك ومن معك من الصحابة مَا رأينا مثل قرائنا هؤلاء لا أرغب بطونا ولا أكذب ألسنة، ولا أجبن عند اللقاء، ليقولن لك جوابًا واعتذارًا إنَّمَا كنا نقول ذلك نقطع الطريق لطول الطريق، ونلعب ونتسلى، فجاوبهم لا تعتذروا، فإن هذَا العذر الَّذِي تُوردونه لا ينفعكم شَيْئًا، فإن قولكم هَذِه المقولة لعبًا كفر قد كفرتم به ظاهرًا بسبب قولكم هذَا، بعد أن كان كفركم باطنًا.

قد كفرتم ظاهرًا بعد إيمانكم الظاهر، فكنتم تُظهرون الإيمان، وأنتم الآن كفار في الظاهر، فنقض استهزائكم برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبالصحابة الَّذِينَ معه إيمانكم الظاهر، فصرتم كفارًا في الظاهر، فدل هذَا عَلَىٰ: أن قولهم واستهزائهم برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولو كان لعبًا يُحكم بسببه بكفرهم مَا دام يعلم المعنى، حَتَّىٰ لو لم يعلم أنه كفر، مَا دام يعلم المعنى، وأنه يتضمن الاستهزاء ولو كان لعبًا، فإنه كفر.

بعض الناس يُريد أن يُضحك الناس، فيأتي بألفاظ شرعية، أَوْ أعمال شرعية ويستهزأ بها، فهذا كفر -وَالعِيَاذُ باللهِ-، فسب الله تَعَالَىٰ أَوْ سب رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ سب القرآن أَوْ سب الدين أَوْ سب بعض الدين، والاستهزاء بالله أَوْ الاستهزاء برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ الاستهزاء بالقرآن أَوْ بعضه...

يحضرني هنا أن بعض الفقهاء في أحكام الرِدة ذكروا: أنه لو قَالَ رجلٌ عَنْ رجل قصير هذَا أقصر من سورة قل هو الله أحد يكفر، أَوْ قال عَنْ رجل طويل هذَا أطول من سورة البقرة يكفر، ولا شك أنه إذا كان هذَا على سبيل الاستهزاء لا شك أنه كفر، وَإِلَّا فالموضوع خطير جدًّا.

أَوْ الاستهزاء بالدين أَوْ بعضه كفر مضاد للتعظيم بإجماع العلماء، فمن سب أَوْ استهزأ بما ذكرنا وَهُوَ يعلم مَا يقول، فإنه يكفر بذلك إن كان مؤمنًا قبل ذلك، ويقبح كفره إن كان كافرًا فالكفر ظلمات، فمن سب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صار كفره أقبح، وصار حاله أشنع، وصار بغضنا لَهُ أعظم.

نُبغض الكفار جميعًا، لكن من سب الله، أَوْ سب رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ سب الدين، أَوْ استهزأ بهذا، وَهُوَ من الكفار، فإن بغضنا لَهُ يعظم ويشتد؛ لأَنَهُ مع كفره آذى رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وآذى المؤمنين، وقد قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: ٥٧-٥٨].

وإذا كان قائلها منافقًا فإنه يكفر بظاهره، كما كان كافرًا بباطنه.

فدل ذلك يا إخوة: على أن من أتى بالشهادتين، ثُمَّ أتى بمكفر فإنه يحكم بكفره، هذَا الحكم العام، ولكفره أصول تُتبع سنذكرها في آخر الكلام عَنْ الشبهة، لكن يا إخوة لا شك أن من سب الله سبًّا يُعلم أنه سب، وَهُوَ يعلم مَا يقول لا شك أنه كافر بعينه، لا يُتردد في كفره، كذا من سب رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سبًّا يُعلم أنه سب، وَهُوَ يعلم مَا يقول، ليس غضبانًا غضبًا أطار عقله حَتَّىٰ صار لا يعلم مَا يقول، أَوْ سكرانًا سكرًا أطار عقله حَتَّىٰ لا يعلم مَا يقول، أنه يكفر بعينه، ويُحكم بكفره بعينه.

وسنأتي إِنْ شَاءَ اللهُ في آخر الشبهة للرد على زعمهم: أن أهل السُّنَّة أهل التوحيد ينشرون التكفير سنأتي بأصول أهل السُّنَّة وَالجَمَاعَة في التكفير، ونرد شبهتهم هَذِه إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

إذا مقصود الشيخ: أن يُبَيّن لك بهذه الأدلة أن النطق بالشهادتين لا يمنع من التكفير إذا وُجد المكفر ممن نطق بالشهادتين قولًا كان أَوْ فعلًا.

لعلنا نقف عند هَذِه النقطة؛ لأن الدليل التالي فيه طولٌ وفيه تفصيل، فلعلنا نجعله في بداية الدرس القادم إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، ولعلنا نُجيب عن بعض الأسئلة.

(الأسئلة)

السؤال: جزاكم الله خيرًا، وبارك الله فيكم، أحسن الله إليكم؛ يقول: هل من سب الله يجب عليه أن يغتسل وينطق بالشهادة من جديد، أم يكفيه النطق بالشهادة فَقَطْ؟

الجواب: من سب الله عَزَّ وَجَلَّ بلفظ يعلم أنه سب، وَهُوَ يعلم مَا يقول حتى لو كان لا يعلم أنه كفر يكفر، ويخرج من دين الإسلام، فإن تاب وتوبته تكون بندمه على مَا قال، وعزمه على ألَّا يرجع إلى هذَا المقال فإنه يدخل في الإسلام فيأتي بالشهادتين ويكفيه هذَا، بل قال العلماء: إن تاب وبعد توبته صلَّى، فإنه يكون قد دخل في الإسلام، فمن خصائص الصلاة: أن من أتى بها تعبدًا يدخل الإسلام؛ لأَنَهَا تتضمن الشهادتين وفيها التعظيم.

إذًا انتبهوا للقيد الَّذِي أقوله: إذا تاب؛ بمعنى ندم وعزم على ألا يرجع، وصلى فإنه يكون دخل في الإسلام، لماذا أقول انتبهوا؟ لأن بعض الناس يقول: الَّذِي يسب الله ثُمَّ يُصلي يكون دخل في الإسلام، لا إذا لم يتب من جريمته، فإنه حَتَّىٰ لو صلى مَا يدخل في الإسلام.

بعضهم يقول: يا أخي هذَا يسب الله، ثم يقول: أَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، يقولها باعتبار مَا يقول سابقًا، إذا لم يتب فهذا لا ينفعه، لَا بُدَّ من أن يتوب من جرمه، وتوبته: أن يندم عَلَىٰ مَا قال، وأن يعزم على عدم الرجوع إِلَىٰ ذلك، فإذا تاب وَشَهِدَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ عاد إِلَىٰ الإسلام، ولا يحتاج إِلَىٰ شيء آخر، وإذا تاب وصلى عاد إِلَىٰ الإسلام ولا يحتاج إلى شيء آخر.

معاشر الفضلاء؛ إن التوحيد أكبر نعمة يُنعم الله عَزَّ وَجَلَّ بها عَلَىٰ الإنسان، فمن رزقه الله هَذِه النعمة فليحمد الله عَزَّ وَجَلَّ، وليشكر الله شكرًا عظيمًا أن اختاره واصطفاه، وليحافظ على هَذِه النعمة، وليحذر حذرًا شديدًا مِمَّا يُناقضها أَوْ ينقصها، وليدعو إليها بحسب استطاعته.

أيُها الفضلاء؛ أن المسلم والمسلمة إذا هُدي إِلَىٰ خير فلزمه، أَوْ هُدي إلى شر فاجتنبه يتسلط عليه السفهاء الجهلة وأصحاب المقاصد السيئة فيعيبونه، ويسبونه، ويشتمونه، ويتنقصونه، ألَا ترون أن الفتاة الَّتِي تكون في بيئة لا تلتزم بالحجاب، ويختلط فيها الحابل بالنابل -وأقصد البيئة الصغيرة الأسرة

أَوْ نحو ذلك-، إذا استقامت فوسعت ثيابها ولبست حجابها سلطوا عليها الألسنة بالسخرية، والألقاب المنفرة: متشددة، معقدة تعيش في القرون الماضية، متخلفة، فضحتنا أمام الناس؟!

سُبْحَانَ اللَّهِ! البنت الَّتِي تخرج ببنطلون ضيق وقد كشفت عَنْ ساقيها أَوْ كشفت عَنْ كتفيها هَذِه مَا فضحتهم، لكن بنت استقامت وسترت، يقول: هَذِه فضحتنا عند الناس، وهكذا في كل خير يهتدي إليه المسلم، أَوْ شر يجتنبه يُجلب عليه، هذَا من الابتلاء يا إخوة، هذَا من الابتلاء حَتَّىٰ يتبين الصادق الثابت من المذبذب.

فالواجب علىٰ من هداه الله إلىٰ خير، واجتناب شر: أن يحمد الله، ويشكر الله، ويثبت على مَا هو عليه، فإن الله اصطفاه.

عندما ينظر إلى من حوله ويسمع هذَا الكلام، يقول: سُبْحَانَ اللَّهِ، الله اصطفاني عَلَىٰ ضعفي واختارني لأسلم من هذَا البلاء الَّذِي يروج على كل هؤلاء، ويثبت على مَا هو عليه، ويقول: الحَمْدُ للهِ الَّذِي عافاني مما ابتلاهم به.

لا ينبغي أيُّها المؤمن أن تُكسَر بهجمات المخالفين، ولا بتشنيع المخالفين، مَا دُمت عَلَىٰ الهدى والتقى، مَا دُمت رزقت لزوم كتاب الله، والسير عَلَىٰ طريق رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فوالله أنت الأمة ولو كنت واحدًا، وأنت الشريف وأنت الكريم وأنت العزيز، فأخلص لله واثبت واستمر في طريقك متمسكًا بدينك معتزًا بدينك، ولا يهولنك كثرة المخالفين، ولا كثرة المرجفين، ولا كثرة السابين، ولا كثرة المتهكمين، فإن العزة أن تكون عزيزًا عند الله، ومن عز عند الله فهو العزيز.

والمتمسك بكتاب الله، وبسنة رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبأصول السَلَف هو العزيز من الخلق، هو المبارك، هو الَّذِي يُسابق إلى الجنات، فالثبات الثبات، واحذروا من أن تُكسروا.

وفق الله الجميع، وتقبل الله من الجميع، واللهُ تَعَالىٰ أَعْلَىٰ وأَعْلَمُ.

وَصَلَّ اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ.